

تفسير أبي السعود

بيتك طرف لأسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لواد أو بدل منه إذ المقصود إظهار كون ذلك الإسكان مع فقدان مبادية لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حر التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهايه الجابرة في كل عصر أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته إذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وإنما كان نشرا مثل الراية تأتية السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيئول إليه الأمر من بنائه عليه السلام فإنه ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضا كذلك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله تعالى ربنا ليقموا الصلاة متوجهين إليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسطه لإظهار كمال العناية بإقامة الصلاة والإهتمام بعرض أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادى البلقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الأسنى وكل ذلك لتمهيد مبادئ إجابة دعائه وإعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال فاجعل أفئدة من الناس أي أفئدة من أفئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وأما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المسئول توجيه القلوب إليهم للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج وإلا لقيل تهوى إليه فإنه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة أخرى كما مر أو لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرء أفدة على القلب كآدر في أدور أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أي عجلت أجماعة من الناس وأفدة بطرح الهمزة من الافئدة أو على النعت من أفد تهوى الهم تسرع اليهم شو قاوودادا وقرء على البناء للمفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أي تحب وتعديته إلى لتضمنه معنى الشوق والنروع وأول آثار هذه الدعوة ماروى أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأى والطيير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فأشر فوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماوك فأذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب أسمعيلى عليه السلام وماتت هاجر فتزوج إسمعيلى منهم كما هو المشهور وارضقهم أي ذربتى الذين أسكنهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارضق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلاة من الثمرات من أنواعها

بأن يجعل يقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجى إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد 0 روى عن ابن عباس رضى ا عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها ا تعالى و وضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى رضى ا عنه أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام لعلمهم يشكرون تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام فى ليقيموا لام الأمر والمراد أمرهم بإقامة الصلاة والدعاء من ا تعالى